FSM İlmî Araştırmalar *İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi*
FSM Scholarly Studies *Journal of Humanities and Social Sciences*
Sayı/Number 7 **Yıl/**Year **2016** **Bahar/**Spring
© 2016 Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi
DOI: 10.16947/fsmia.238936 - http://fatihsultan.dergipark.gov.tr/fsmia - http://dergi.fsm.edu.tr
Araştırma Makalesi / Research Article - **Geliş Tarihi** / Received: 25.04.2016 **Kabul Tarihi** / Accepted: 25.05.2016 - **FSMIAD, 2016; (7): 165-195**

الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ :دراسةٌ تَحْلِيليَّةٌ تَأصِيليَّةٌ وِفْقَ المَنْهَجِ التَربَويِّ الإسلَامِيِّ

عماد كنعان *(İmad Kenan)

ملخص الدراسة باللغة العربية

هدفت الدراسة إلى تحليل مبدأ الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ الفرديِّ والجماعيِّ وتأصيله في ضوء المنهج التربوي في السنة النبوية.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التوثيقي التأصيلي عبر أداتي الاستقراء والاستنتاج للتعرف إلى منهج الإسلام في تمكين دعائم التوازن النفسي بين المسلمين؛

وذلك بالاعتماد على منهج بحثي يقوم على التوثيق للأدلة الشرعية، ثم تحليلها لتحديد سبل بناء منظومة الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ الفردي والجماعي في مختلف مفاصل المجتمع المسلم.

وخلصت الدراسة إلى أن مبدأ الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ مبدأ تربوي نفسي إسلامي أصيل اهتم القرآن الكريم بإرسائه وعملت السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية على تجسيده، وكذلك الخلف من علماء الأمة؛ وتوصي الدراسة بأهمية الإفادة من منهج التأصيل الذي اعتمدته والعمل على تطويره بغية إنجاز دراسات توثق ثراء الفكر التربوي والنفسي الإسلامي وسبقه في إرساء مبادئ الصحة النفسية عبر إظهار تعدد أساليب الشريعة الخاتمة وتنوع غاياتها.

الكلمات المفتاحية :الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ, المنهج التربويُّ الإسلاميّ, الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ الفرديُّ والجماعيُّ

---

* الباحث الدكتور، جامعة كيليس كلية الإلهيات ، كيليس/ التركية

Yrd. Doç. Dr., Kilis 7 Aralık Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Kilis/Türkiye, dr.emadkanaan@gmail.com

Duygusal Zekâ : İslami Eğitim Metoduna Uygun Analitik Bir Çalışma

Öz

Bu çalışma; Hz. Peygamber'in sünnetinin eğitim yöntemi ışığında, ferdî ve toplumsal olarak duygusal zekâ ilkesi ve kökeninin incelenmesini hedeflemektedir.

Araştırmacı Müslümanlar arasında psikolojik denge dayanaklarının oluşumunda İslami yöntemin tanıtımında, tümevarım ve tümdengelim yöntemleri aracılığıyla betimsel analitik metodu ve dokümanter metodu kullanmıştır. Şer-i delillerin belgelendirilmesini temel alan araştırma yöntemine dayanarak İslam toplumunun çeşitli katmanlardaki birey ve toplumun duygusal zekâ sisteminin yapılanması yollarının belirlenmesini analiz etmektedir.

Araştırma duygusal zekâ ilkesinin, Kuranı kerimin yerleştirilmesini önemsediği, sözlü, fiili ve takriri nebevi sünnetin ve ümmetin halef âlimlerinin somutlaştırılmasına çalıştığı, özgün bir İslami psikolojik eğitim ilkesi olduğu sonucuna varmıştır. Çalışma, dayandığı dokümanter yöntemin yararının önemli olduğunu, bununla birlikte son din İslam'ın çok yöntemli ve çok amaçlı yönünü göstererek, İslami pedagojik ve psikolojik düşüncenin zenginliğini ve psikolojik sağlık ilkelerinin yerleştirilmesinde ilk olduğunu ortaya koyan çalışmalar yapmak amacıyla bu yöntemin geliştirilmesini tavsiye etmektedir.

Anahtar Kelimeler: Duygusal zekâ, İslami eğitim metodu, bireysel ve toplumsal olarak duygusal zekâ.

Emotional Intelligence: An Analytical Study in Line with Islamic Education Method

Abstract

The study aims at consolidate identity Of Kant's educational philosophy under the educational Islamic point of view. The investigator does his study through the descriptive analytic method using inference and induction tools to identity The most important educational values the principles and learning methods that kant,s educational philosophy called for it.

After that he starts the comparison With educational learning theory through the educational Islamic point of view that is based on documenting then analyzing the legal evidences to identify the learning principles adopted by it and to show the educational values emerging from it and to define points of contrast and differentiation between Kant's educational philosophy thought and the modern Islamic education thought.

The study concludes that There are several contrasting points and meeting points between Kant's educational philosophy and the philosophy of Islamic educational.. And it says to benefit from the method of consolidation that it uses and to work to improve it aiming at achieving studies that proves that the Islamic educational thought has been precursor in establishing principles and methodologies in teaching that have various methods and numerous aims.

Keywords: Emotionality intelligence, Islamic educational curriculum, emotional intelligence at individual and societal levels.

أولاً: خطة البحث

1- المقَدِّمة
2- مشكلة البحث:
3- أهمية البحث ومسوغاته:
4- أهداف البحث:
5- مصطلحات البحث:
6- الدراسات السابقة

ثانياً: المحتوى العلمي

1- مَعَالِمُ التَّوازنِ النَّفسِي
2- تحقيق معايير الذكاء العاطفي في السيرة النبوية (إمام الأَذكِيَاءِ عاطفيًّاً)
3- توظيف منظومة الذكاء العاطفي في المراحل الدقيقة (النِّفَاق.. وِكْرُ الخديعةِ وخندق أربابها)
4- التربية النبوية على الذكاء العاطفي الجماعي (ثُمَّ كان للنُّبُوَّةِ كلمتها)
5- تحصين الجماعة من التفرق في ظلال مبادئ الذكاء العاطفي الراسخة (الشَّارِدُ والقِنْدِيل)
6- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (قَبَسٌ من أنوار الشَّيخين)
7- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (فقه الحُبِّ القويم)
8- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (بصيرة الوَلَدِ والأُمِّ)
9- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام عَابِدَةُ الإسلام الأولى
10- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام (حَمَّاد.. نموذج العَالِمُ العَامِلُ)
11- الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ الجماعيُّ

ثالثاً: نتائج البحث وتوصياته

رابعاً: مصادر البحث ومراجعه

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أولاً: خطة البحث

1- المُقَدَّمة:

ولد مصطلح الذكاء العاطفي في الولايات المتحدة الأمريكية قبل عشرين عاماً، إذ لاحظ علماء النفس والسلوك هناك أن نجاح الإنسان وسعادته في الحياة لا يتوقفان على ذكائه العقلي فقط، وإنما على صفات ومهارات قد توجد وقد لا توجد عند الأشخاص الأذكياء، وأطلق العلماء على هذه الصفات والمهارات تسمية الذكاء العاطفي، ورمزوا له بالـ (EQ Emotional Quotient) مقابل ألـ (IQ Intelligence Quotient) رمز الذكاء العقلي، وبدؤوا بإجراء أبحاث وإحصائيات حول هذا الذكاء الذي اكتشفوه، وقد بينت هذه الأبحاث مكونات الذكاء العاطفي، وكيفية تحديد مستواه، وما الوسائل الكفيلة برفع هذا المستوى، كما أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أن النجاح والسعادة في الحياة متوقفان على مستوى الذكاء العاطفي عند الإنسان، وليس على مستوى ذكائه العقلي[1].

ويعدُّ الذَّكَاءُ العاطفيُّ أحد أنواع الذكاءات المتعدّدة الموجودة لدى الإنسان، والذي حدّده علماء كثر في منتصف الثمانينيات، حيث أكدت الأبحاث والمشاهدات العمليَّةُ ارتباطه المباشر بالإرتياح والسَّعادة والإنتاجيَّة والنموِّ المستمر للشخص على الصعيد الأسري، والمهني والاجتماعي.

ويعرَّفُ الذَّكَاءُ العاطفيُّ على أنه: القدرة على فرز عواطف الإنسان وأحاسيسه، وحسن استعمالها، ويعرف (كولمان) الذكاء العاطفي بأنه: القدرة على أن تتعرَّفَ على مشاعر الآخرين وعلى مشاعرك الشخصيّة، وذلك لتحفيز أنفسنا، ولإدارة عواطفنا بشكل سليم وجيّد في علاقتنا مع الآخرين[2].

حيث إنه من غير الحكمة أن لا نُصِيْخَ السَّمع لِرَجْعِ صدى أنين آلام النَّاس وحَفِيْفِ آمالهم, وهم يرزحون تحت نَيْرِ فَحِيْحِ طَعْنَةٍ سَامَّةٍ بيدِ غادر, أو وهم يَئِنُّوْنَ من حُرْقَةِ صَفْعَةِ حبيبٍ مُقَامِر.

وكيف يستقيم ذلك؟! وفيهم العَالِمُ العَامِلُ الذي أنفق سنيناً من عمره خلف قضبان سلطانٍ جائرٍ, وذلك جزاء بَوْحِهِ بكلمةِ حَقٍّ خالصة لوجه الرحيم الغافر.

([1])- ياسر تيسير العيتي: (**الذكاء العاطفي، نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة**)، (5)

([2])- دانييل جولمان: (**الذكاء العاطفي**)، (52).

وبأيِّ حالٍ نبيحُ لأنفسنا؟! أن لا نعير اهتماماً لحسراتِ أمٍّ ثكلى تَقُصُّ علينا أحداث أيامها العجافِ بعد فُرْقَةِ زوجٍ وَفِيٍّ صالحٍ, أو فُقْدَانِ ابنٍ حَانٍ بَارٍّ.

ولِمَ لا..!؟ وما المحظور..!؟ في أن نحترم قريضاً حيَّاشاً لشابَّةٍ بتولٍ أوجعَ قلبَها العفيفَ رحيلُ حبيبٍ كم كانت تحلم أن تكون أمَّاً لطاقةِ أزاهير أولاده!؟.

إن العُقْمَ عن إثمار الصادق من المشاعر, والشُّحَ عن السخاء بالنَّدِيِّ من المبادرات, هو إنذار سَيِّئٌ لداءٍ عضالٍ مُسْتَعْصٍ ما أحوجَ المُبْتَلَى به إلى رحلة استشفاءٍ في رياض عِلْمِ النَّفْسِ الإسلاميِّ الذي يَرْقِيْكَ ببركاتِ آياتٍ مُعْجِزَةٍ تارةً, ويرفع عن عاتقك الكَلِّ همومَ تجربةِ حياةٍ مفجعةٍ تارةً أخرى.

إننا في هذه الصفحات الوافدة إلى نَقِيِّ أفكارنا, ونَدِيِّ أفئدتنا, سنحط رحالنا على مشارفِ تشخيصِ أسقامٍ قاتلةٍ, لا أقول تقتل الجسد بل أجزم أنها تقتل الرُّوح, وإن التداوي من لَعْنَةِ أدرانها فريضةٌ إنسانيَّةٌ وشرعيَّةٌ وعقليَّةٌ وقلبيَّةٌ وروحيَّةٌ, وإن الفَارَّ من الانصياع إلى فرائضِ وَصْفَتِهَا الإلهيَّةِ النَّبَوِيَّةِ ونَصَائِحِهَا, هو مُعْتَلٌّ عَاقِرٌ.. أو في أحسن أحواله مهووسٌ عَاقٌّ.

إن في أعماق حَرَمِ مخازن اللاشعور لديك؛ نوايا مُتَعَفِّنَة, وقراراتٍ هَدَّامَة, ومخططاتٍ مُدَمِّرَة, وإنه ينبغي أن يكون ضمن سُلَّمِ أولوياتك إعادة ترتيب أوراقك المَبْعْثَرَة, كي لا تُفْنِي أيام عمرك وأنت تطارد سراباً مُخَادِعَاً, وتلهث خلف أوهامٍ مُخْتَلَقَةٍ, فالطريق من هنا يا سيدي, وهو مُجَافٍ تماماً لوجهتك الحالية.. فاحذر الله.. وَجُبَّ المُغِيْبَةَ عن نَفْسِكَ.. ورَحْمَةً منك بروحكِ وبقلبكِ وبجسدكِ نَرْجُوكَ.. ثُمَّ بِمَنْ تَعُوْلُ نَرْجُوكَ.

2-مشكلة البحث:

إنّ من أسرار السعادة أن يكتشف الإنسان نفسه، وأجمل شيء في هذه الحياة أن يعرف الإنسان قيمتهُ ومكانتهُ لكي يندرج تحت السقف الذي يعيش فيه، فعندما تكتشف نفسك وداخلك وما تشعر به فأنت حقَّقت نصف متطلبات النجاح في التعامل مع الناس، فالإنسان عندما يعرف قيمته بين الناس تنتج عنه تصرّفات تطابق المكانة التي يعيش فيها من ناحية الأسلوب والتعامل والكلام الذي يتكلَّمهُ مع الناس.

وحيث أن الذكاء العاطفي قد أصبح علماً متداولاً يوصِّف ماهية وكيفية التعامل الناجع مع الناس فقد وجد الباحث أنه من الخير أن يقدم توصيفاً تحليلياً تأصيلياً يبين فيه رؤية الفكر التربوي الإسلامي لمبدأ الذَّكَاءُ العاطفيُّ.

وعليه، فإن مشكلة البحث تتلخص في السؤال الآتي: **ما مفهوم الذَّكَاءُ العاطفيُّ الفرديِّ والجماعيِّ في المنظور التربوي الإسلامي؟**

3–أهمية البحث ومسوغاته: تتلخص أهمية البحث ودوافع كتابته في النقاط الآتية:

أ– التعريف بمفهوم الذَّكَاءِ العاطفيِّ الفرديِّ والجماعيِّ في المنظور التربوي المعاصر.

ب– تقديم الرؤية الإسلامية لمفهوم الذَّكَاءِ العاطفيِّ.

ت– تسجيل قَصَبِ السَّبْقِ للشريعة الإسلامية في تخريج أجيال متتالية من المسلمين تحلت بأعلى منازل الذَّكَاءِ العاطفيِّ وخصائصه.

ث– التعريف بالذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ الجماعيِّ بوصفه أحد حاجات الأمة الملحة الحالية لإنجاز التغير المنشود والعودة للماضي المجيد.

4–أهداف البحث: يَنْشُدُ البحث تحقيق الأهداف الآتية:

أ– التعريف بمفهوم الذَّكَاءِ العاطفيِّ الفرديِّ والجماعيِّ في المنظورين التربوي المعاصر والإسلاميِّ أيضاً.

ب– تبيان شمولية الشريعة الإسلامية ومحاكاتها لعديد العلوم النفسية والتربوية الحديثة النافعة.

5– مصطلحات البحث: ومن أهمها الآتي:

أ– **الـذَّكَاءُ العـاطفيُّ الفَـرديُّ:** هـو قـدرتنا على إدارة جموح مشـاعرنا، وكفاءتنـا في حسـن توظيـف عبـق أحاسيسنا.

ب– **الـذَّكَاءُ العَـاطِفِيُّ الجمـاعيُّ:** هـو تعـاون أبنـاء الأمَّـة جميعـاً على تجـاوز أزمـاتهم الداخليـة، ثم مواجهـة مشكلاتهم الوافدة.

ت– **المَـنْهَجِ التَربَـويِّ الإسـلَامِيِّ:** هـو فلسفة الإسـلام في تربيـة الفـرد والجماعـة المسـلمة في ضـوء توجيهـات الكتاب والسُّنَّة.

7– **الدراسات السابقة:** من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة التي وقع عليها الباحث ما يأتي:

أ– ما فوق الذكاء العاطفي.. حلاوة الإيمان

- الباحث: د. ياسر العيتي
- تاريخ النشر: 2010م
- ملخص البحث: يتناول هذا البحث ولادة مصطلح جديد علمي باسم الذكاء العاطفي، أي قدرة الإنسان على التعامل الإيجابي مع ذاته ومع الآخرين، ليحقق أكبر قدر من السعادة لنفسه ولمن حوله، ويوضح عناصر كل من الذكاءين العقلي والعاطفي. ويبين تنمية الإسلام عند الصحابة والتابعين مهارات الذكاء العاطفي، وكيف يشعر

الإنسان بحلاوة الإيمان عند تحليه بتلك المهارات ويربطها بربه ودينه وآخرته. ولماذا لم يعد الإسلام مؤثراً في معظم المسلمين اليوم، ولماذا اختار الله تعالى العرب من بين الأمم للنهوض برسالة الإسلام. ويوضح الكتاب عندما تكون الحياة لله، كيف يدرك الإنسان ذاته وغايته في الوجود ومبادئه وقيمه، ويصف أحباء الله. ويشرح كيف يتحكم الإنسان بالمشاعر السلبية كالخوف والقلق والغضب، وكيف يتخلص منها، ويتجاوز المحن والأزمات، وتصبح النفس مطمئنة بالإسلام. ويصف الكتاب الصدّيقين، وكيف أعلى الله درجاتهم. ويتكلم عن القادة اللينين واتصاف قيادتهم الحقيقية باحترام الإنسان ومحاورته وإقناعه، ويدعو إلى عدم التفرق وقبول الاختلاف البّناء، وعدم إلغاء الآخر، وتحمل المسلم مسؤولياته بإيمانه وحركته ومبادرته وإيجابيته واقتحامه الظروف، ويصف الكتاب حياة المسلم المؤمن المتمتع بالذكاء العاطفي، وكيف يعيش لله حياة متوهجة بالحب والعزم والأمل، مليئة بالمشاعر.

ب- **الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السنة النبوية**

- الكاتب: علي إبراهيم سعود عجين
- تاريخ النشر:2009م
- ملخص البحث: يتناول هذا البحث موضوع الذكاء العاطفي وهو: قدرة الإنسان على التعامل الإيجابي مع ذاته ومع الآخرين، لتحقيق أكبر قدر من السعادة لنفسه ومن حوله. حيث وجد الباحث أن السنة النبوية حافلة بتطبيقاته العلمية في جميع مجالاته وهي: معرفةالإنسان لانفعالاته والوعي بالذات. وإدارة العواطف والتحكم بها. وتحفيز النفس لتحقيق الأهداف الذاتية. ومعرفة عواطف الآخرين والتقمص الوجداني. والمهارات الاجتماعية. وتم التركيز على المجالات الثلاثة الأولى وهو ما يعرف بالذكاء العاطفي الذاتي. وبين الباحث تميز الذكاء العاطفي المستنبط من السنة النبوية لأنه مرتبط بالإيمان بالله تعالى، وأثر ذلك في تحقيق تأجيل الإشباع ، والصبر، والتفاؤل، وتوجيه النفس نحو تحقيق العبودية لله تعالى. كما أوصى الباحث الدارسين للسنة النبوية بتوجيه اهتماماتهم نحو بيان أثر السنة النبوية في علم النفس بشكل عام والذكاء العاطفي بوجه خاص.

ثانياً: المحتوى العلمي

سوف يعالج البحث من خلال هذا الفصل الملامح الرئيسة التي توثق تحلي أبناء الأمة المسلمة بأعلى درجات الذَّكَاءِ العاطفيِّ الفرديِّ والجماعيِّ وتحقيقهم لأدق معايير الجودة التي وصفتها نظريات علم النفس المعاصرة عند حديثها عن مقومات وأسس علم الذَّكَاءِ العاطفيِّ الفرديِّ والجماعيِّ.

1- مَعَالِمُ التَّوازنِ النَّفسِيِّ:

كيف نستطيع أن نكتب جميع ما يقلقنا على الرمال؟

وبأيِّ أدواتٍ محترفةٍ نَنْقُشُ أوهامنا الُمَدمِّرة على ألواح من الجليد رَازِحَةٍ تحت نير شمس صيفٍ ملتهبٍ؟

وأين تدار يا ترى قدراتنا الكامنة على النجاة من فَخِّ جَلْدِ الذات، ومقابر عقد المقارنات المغلوطة؟

ألم يَأْنِ لنا أن نستيقن أن درهم حكمة خيرٌ من قنطار عِلمٍ، وأننا اليوم – وأكثر من أي وقت مضى– بحاجة ملحة إلى أن نضع السلم على الجدار الصحيح؛ كي لا تغلبنا التوافه على أمرنا ونُحَكِّمَ في حياتنا فقه الأولويات الذي ندير في ظلالهِ الآمنةِ أخطر ملفات حياتنا؟

إن الذَّكَاءُ العاطفيُّ الذي يشكل الشِّقَ الأول من الذَّكَاءِ الإنساني والأهَمَّ فيه؛ هو قدرتنا على إدارة جموح مشاعرنا، وكفاءتنا في حسن توظيف عبق أحاسيسنا، ومن خلاله فحسب نبدأ والنهاية واضحة في أذهاننا، إذ إننا نَتَطهَّر بِزُلالِ مائه من أدران شللٍ فكريٍّ مَحْظُور، وتَصَحُّر نفسيٍّ لا تحمد لخليله عاقبة.

إن التوزان النفسي عماد الأمر كله، فلا يغني عن القائد والمعلم والطبيب وغيرهم من المضطربين نفسياً وسلوكياً شهادات عُليَا حَصَّلوها، ولا كتبٌ فكريَّةٌ نَشَروها، ولا خبراتٍ عمليَّةٍ اكتسبوها، فالواحد منهم على مشارف انهيار أخلاقي في علاقته مع زوجته وبنيه، وربما قد أجمع زملاؤه من قَبْلُ على استحالة مصاحبته، ثُمَّ مضى على مَذْهَبِهِمْ في تقويمه أتباعُهُ أو طلَّابُهُ, أو مرضاهُ, والذين توافقوا منذ زمن ليس بقريب على أن قائدهم أو معلمهم أو طبيبهم؛ أرحم له ولمن حوله أن يعتكف بيته، من أن يخالط النَّاس فيصيبهم منه أذىً وإحراجٌ وأخطارٌ ما أعظم غناهم عنها.

إن الإنسان الخَيِّرَ هو من يأنس الناس بلقياه، ويستبشر الأهل ويطمئنوا بعودته، وإذا ما أبعدته عنهم أجنحة الأيام؛ أسكنه في شغاف القلب حنين لتاريخه الأبيض، وعندما يأتيه أمر الله فيذيقه الموت وحشة القبر، لا يبرح العارفون بكريم خلقه، وطِيْبِ مخفله، إلا أن يتجاذبوا في حسن ذكره أطراف الحديث مشَفِّعين نجواهم بإهداء روحه الرَّحمات،

وما أحسن ما حدثنا جابر عن رسول الله ‘ أنه قال: >**المؤمن يَألَفُ ويُؤلَفُ، ولا خير فيمن لا يَألَفُ، ولا يُؤلَفُ، وخير النَّاس أنفعهم للنَّاس**<[1].

إن العلم والثراء والسلطان والجاه والجمال، والذوق الرفيع في الملبس والمأكل والمسكن، عوارض عابرة لا تترك عند الناس من دون منظومة أخلاقية راسخة في قلب الإنسان، ومتَّقدة في قوله وعمله إلا أثراً عكسياً سلبياً، فتنقلب تلكم النِّعَمُ والمِنَحُ على أصحابها الذين لم يكتسوا بحلة كريم الشمائل نِقَمَاً ومِحَنَاً، فإنه لا يغني عن العالم المتعالي جزالة وعظه، ولا عن الغني المحتال كثرة ماله، ولا عن السلطان الجائر قوة كرسيه، ولا عن الجميل طلائع حسنه، وإن الثوب الرقيق على الجسم العليل كَفَنٌ، والبيت الأنيق لساكنٍ مقهورٍ فيه لَحْدٌ، وطعامٌ على الذُّلِّ سُمٌّ زعافٌ، وصدق رسول الله ‘ إذ قال: >**إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فَليَسَعْهُم منكم بَسْطُ الوجه، وحُسْنُ الخُلُقِ**<[2].

إن الذَّكَاءَ العاطفيَّ يتجلَّى في مظاهر عديدة من الاتزان في المشاعر، وقوة المحافظة على المبادئ، والثبات على المُثُلِ التي يعتقد المرء بصحتها، وهو كفاءة عالية لا يمتلكها إلا عينة قليلة من النَّاس؛ تتجلَّى عندهم في حسن قيادة قلوب النَّاس وتوظيف طاقاتهم، ويمكن العثور على هؤلاء المتَّزنين وجدانياً والتَعَرُّف إليهم بسهولة وسرعة من خلال معيارين دقيقين للغاية:

الأول منهما: قدرتهم على محاكاة هموم الناس وحاجاتهم، والتفاعل معها على نحو بَنَّاء، والثاني يتمثل في قوة ثباتهم على مستوى التواصل الإيجابي مع الناس وديمومته، بحيث يَخْلُصون من جهدهم النوعي هذا إلى كسب وِدَادِ من حولهم، وحَصَادُ القبول من قَلْبِهِم، ثُمَّ كَنْزُ الاقتناع من عقلهم.

2- تحقيق معايير الذكاء العاطفي في السيرة النبوية (إمام الأَذكِيَاءِ عاطفيَّاً):

وإن السابر الحكيم لأحداث السَّيرةِ النَّبوِيَّةَ وأحاديثها، يقع على سلسلة مطولة من المواقف والكلمات التي تتجلى فيها رتبة الذَّكَاءِ العاطفيِّ عند سيدنا مُحَمَّدٍ ‘ في مستويات رفيعة غاية الرِّفعة، ولا غَرَابَة في ذلك ولا مَشَاحَةَ، فالنَّبِيُّ الكريم ‘ الذي قاد أُمَّةً من رمضاء لَعْنَةِ الوَأْدِ، إلى جنان سُدَّةِ الرِّيَادَةِ، والرَّسول الحليم ‘ الذي جمع الشَّمل، ورَأَبَ الصَّدع، ورفع عن النَّاس رِبْقَةَ الخنوع لصنم، والنَّبِيُّ الرَّسول ‘ الذي كان يبيت على الطوى، ومات فقيراً مديوناً بعدما سُوِّدَ على الورى، والمصطفى المظلوم ‘ المحَارب المشَرَّد زوراً وبهتاناً برغم أنه سليلُ أعيانِ القوم نَسَبَاً، والذي لَمَّا مُكِّن

(1) الطبراني: «**المعجم الأوسط**»، باب العين، باب الميم من اسمه: مُحَمَّد، حديث: (5895).

(2) ابن حجر العسقلاني: «**المطالب العالية**»، كتاب الطب, باب حسن الخلق، حديث: (2626).

بنصرٍ من الله تَرَفَّعَ عن ثأرٍ مُسَوَّغٍ، وتَطَهَّرَ من بَطْشٍ مُتَوَقَّعٍ، إن المصطفى نَبِيُّ الله ورسوله ‘ لا ريب في أن مسيرته مَدرَسَةٌ بَالِغٌ نَفْعُهَا، ومُتَنَوِّعٌ عَطَاؤُها، النَّاهِلُ من مَعِيْنِ حِكَمِهَا يتقدَّم ولا يَتَقَادَمُ، ويتجدَّدُ فلا يَتَبَدَدُ، وإن المتأسِّي بمولانا مُحَمَّدٍ ‘ هو رجل متوازن في أفعاله، وذكيٌّ في قراراته، قريب من الله، قريب من الناس.

إن ما يسمى اليوم بالقرارات الاستراتيجية التي تترتب عليها بالسَّلب أو الإيجاب نتائج متناهية في العمق والشمول تنعكس على ماضي الأُمَّةَ وحاضرها ومستقبلها على حَدٍّ سواء، إن الإقدام على هذه القرارات المصيرية يحتاج من صُنَّاعها إلى مستويات عالية من التوازن العاطفيِّ القائم على ذكاءٍ عاطفيٍّ أصيلٍ عند القادة أصحاب السلطة والتمكين.

ولقد مرت على رسول الله أحداثٌ جسامٌ فُرِضَتْ عليه تَبَنَّى في ضوئها قراراتٍ خطيرةٍ وذلك بسبب دقتها، وشدَّة تشعُّبها، وقد مَنَّ الله سبحانه على النَّبِيِّ الأعظم ‘ بتوفيقٍ وتسديدٍ أذهل من حوله من عدو وصديق على نحو واحد، وبذلك ثبت للقارئ المحلل لأحداث السيرة العطرة ما قد خَصَّ الله به الرسول عليه الصلاة والسلام من قدراتٍ نفسيةٍ متعددةٍ تمثَّلت في حزمة توازنٍ عاطفيٍّ مكَّنه من قيادة جمهور الصحابة بحصافة، والتعامل مع كبواتهم – صغيرها وكبيرها – بحكمة بالغة، كما استطاع النَّبِيُّ ‘ باعتماده على خُلُقِ الحلم الذي هو أحد أهم مواصفات القائد المتوازن عاطفيًّاً، والعبقريِّ وجدانيًّاً، تجاوز فِتَنٍ كقطع الليل المِلِمِّ سواده، حيث تأتى له رَدْمَ الجيوبِ التي تُفَرِّخُ أوكاراً من الانقلابات والرِّداتِ الهدَّامة، وتعبيد الطرق أمام من أراد أن يتوب إلى الله متاباً، ليغسل حوبته، ويتطهر من نقيصته، ويكفِّر عن صنيعته.

وتتضح الصورة بجلاءٍ للناظر في أمثلةٍ نستعرضها من سيرة النَّبِيِّ ‘ بحيث نَخلُصُ من خلالها إلى تعريفٍ مُحْكَمٍ بمنهج النُبُوَّةِ التربويِّ الرشيد في إدارة المخاطر، والتعامل مع المستحدثات من الأمور.

3- توظيف منظومة الذكاء العاطفي في المراحل الدقيقة (النِّفَاق.. وكْرُ الخديعةِ وخندق أربابها):

روى الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ﴾ [المنافقون: ٨]، فقال: كان المنافقون يُسَمُّون المهاجرين: الجَلابِيْبُ؛ وقال: قال ابن أُبَيٍّ: قد أمرتكم في هؤلاء الجَلابِيْبِ أمري، قال: هذا بين أُمْجٍ وعُسفَانَ على الكَدِيدِ تنازعوا على الماء، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء؛ قال: وقال ابن أُبَيٍّ أيضاً: أَمَا والله لَئِنْ رجعنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأَذَلَّ، لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم!، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون، ويخرجون ويهربون.

فأتى عمر بن الخَطَّاب إلى النَّبِيِّ ‘ فقال: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أُبَيٍّ؟ قال: >**وما ذاك ؟**<، فأخبره، وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله. قال: >**إذاً تَرْعَدُ له آنِفٌ كثيرةٌ بيثربَ!**< . قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فَمُر به سعد بن معاذ، ومُحَمَّد بن مَسلَمَةَ، فيقتلانه فقال رسول الله ‘: >**إني أكره أن يتحدث النَّاس أن مُحَمَّداً يقتل أصحابه، ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ**<. فدعاه.

فقال ‘: >**ألا ترى ما يقول أبوك ؟!**<، قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟، قال: >**لَئِنْ رجعنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأَذَلَّ**<؛ فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعزُّ وهو الأَذَلُّ، أَمَا والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أَبَرَّ مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتينَّهما به، فقال رسول الله ‘: >**لا**<.

فلما قَدِموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ على بابها بالسيف لأبيه؛ ثُمَّ قال: أنت القائل: لَئِنْ رجعنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأَذَلَّ، أما والله لَتَعْرِفَنَّ العزَّة لك أو لرسول الله!!، والله لا يَأويكَ ظِلُّهُ، ولا تَأوِيهِ أبداً إلا بإذنٍ من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج؟!؛ ابني يمنعني بيتي!؛ يا للخزرج ابني يمنعني بيتي!، فقال: والله لا تَأوِيهِ أبداً إلا بإذن منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النَّبِيَّ ‘ فأخبروه، فقال: > **اذهبوا إليه، فقولوا له خَلِّهِ ومسكَنَهُ**< ؛ فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النَّبِيِّ ‘ فَنَعَم[1].

إن زعيم المنافقين عبد الله ابن أُبَيٍّ أَقْدَمَ على خيانات عظمى استحق على كلٍّ واحدةٍ منها منفردةً الحكم بالإعدام دون أدنى تردد في مسألة قتله، أو أي وجهة اجتهادٍ قد تثير الاختلاف في أمر خيانته، وليس بخافٍ على أحد انخزاله بثلث الجيش يوم أُحُدٍ[2] في خِضَمِّ عوزِ المسلمين لمقاتل يسدُّ ثغراً عن ظهر المسلمين، ولكن النَّبِيَّ الحكيم كان اجتهاده الذي قابل به نكوس هذا الكافر المنافق عن كل عهدٍ، وتحلُّله من كل مروءةٍ، باتخاذ قراراتٍ غريبةٍ، لا تظهر منافعها المُبَرِّرَةُ لها إلا للخاصة من الخَلْقِ ممن آتاه الله بصيرة تطلعه على غياهب الآفاق، فدفع المفاسد في

---

(1) الطبري: «**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»، سورة المنافقون، القول في تأويل قوله تعالى:(**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ**) [المنافقون: ٨]، وقوله: (**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**)[المنافقون: ٨]، حديث:(31617). وانظر؛ البخاري: كتاب تفسير القرآن – سورة البقرة, باب قوله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم حديث: (4625). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب, باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث: (4788).

(2) الصنعاني: «**المصنف**»، كتاب المغازي، وقعة أحد، حديث: (9433).

فلسفة النَّبِيِّ ‘ السياسية مقدَّمة على جلب المصالح، وإن لكل مقامٍ مقالاً، وسيعلم الذين خانوا قريباً جداً أي مصير ستؤول له أحوالهم، وذلك يمسُّهم رجس ما صنعوا من قبائح الأعمال، إذاً إنها سياسةٌ عسكريةٌ ذكيةٌ في إدارة الأزمات، تستبصر النتائج في ضوءِ المعطيات، وتتخذ القرارات بحسب الظروف المتاحة، إنه أعلى هرم يقيم عليه الأذكياءُ عاطفيًّا، والمتوازنونَ وجدانيًّا.

4- التربية النبوية على الذكاء العاطفي الجماعي (ثُمَّ كان للنُّبُوَّةِ كلمتها):

والمشهد التالي يبين وجهاً آخر للإقدام على جريمة الخيانة العظمى، غير أن الجاني فيها صحابي بَدْرِيٌّ جليلٌ، خارت عزيمته، وتذبذب إيمانه، فسقط في وادٍ سحيقٍ جَرَّاء الغلط في التقدير، وسوء الأداء في الاجتهاد، ولكن المنهج التربوي النبوي تضبطه خطوطٌ عريضةٌ جليَّةٌ، إذ تُذْهِبُ الحسنات فيه السيئات، ويُقَدَّمَ فيه العفو على العدل.

أخبرنا عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت عليًّاً رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ‘ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: >**انطلقوا حتى تأتوا روضة خَاخٍ، فإن بها ظَعِينَةً، ومعها كتاب فخذوه منها**<، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظَّعينةِ، فقلنا أخرجي الكتاب؟، فقالت: ما معي من كتاب!، فقلنا: لتُخرِجِنَّ الكتاب؛ أو لَنُلقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عِقَاصِهَا، فأتينا به رسول الله ‘، فإذا فيه من حاطبٍ بن أبي بَلْتَعَةَ إلى أناس من المشركين من أهل مكة؛ يخبرهم ببعض أمر رسول الله ‘.

فقال رسول الله ‘: >**يا حاطب ما هذا؟**<، قال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قَرَابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسَب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ‘: >**لقد صدقكم**<، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق؟!، قال: >**إنَّه قد شهد بَدْرَاً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطَّلَعَ على أهل بَدْرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**<[1].

إن الذَّكَاءَ العاطفيَّ عند سيدنا رسول الله ‘ كان يمثِّل صمَّام الأمان الذي يقيه من ردَّاتِ الفعل غير المدروسة، ويحجب عنه مغبات الولوج في توجهاتٍ تُحَرِّكُهَا دوافع الانتقام للنفس والأهل والعشيرة، ما يسفرُ عن نتائج غير مرتقبة؛ قد لا يستطيع المرء ترميم آثارها الهدامة بأيِّ وسيلة متاحة، فتجاوزٌ عن مَكْرِ منافقٍ أَشِرٍ بغيةَ ردمِ أوكارِ

(1) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث: (2866).

الفتنةِ التي سيتسبب قتله بفتح جحيم نارها، وصفحٌ عن ذَنْبِ مؤمنٍ صادقٍ رجاء أن يفتح له الله أبواب التوبة المشَرَّعَةِ آناء الليل وأطراف النهار.

5- تحصين الجماعة من التفرق في ظلال مبادئ الذكاء العاطفي الراسخة (الشَّارِدُ والقِنْدِيل):

ومن قطاف السيرة الشريفة في تبيان روائع ذكاءِ رسول الله العاطفيِّ، يقصُّ علينا الصحابي خَوَّاتُ بن جُبَيْرٍ لطيفةً شَيِّقَةً توثِّق حكمة النَّبِيِّ ‘ الخاصة جداً في تعامله مع زلَّات أصحابه، ودرايته الرشيدة بإعطاء الدواء الملائم لكل عليل في ضوء حجم عثرته وسوء فعلته، فيقول رضي الله عنه: نزلنا مع رسول الله ‘ مَرَّ الظهران[1]، قال: فخرجت من خبائي فإذا أنا بنسوة يتحدثن، فأعجبنني، فرجعت فاستخرجت عَيْبَتِي[2]، فاستخرجت منها حُلَّةً[3] فلبستها وجئت فجلست معهنَّ.

وخرج رسول الله ‘ من قُبَّتِهِ فقال: **>>أبا عبد الله ما يجلسك مَعَهُنَّ ؟<**، فلَمَّا رأيت رسول الله ‘ هِبْتُهُ واختلطت، قلت: يا رسول الله جمل لي شَرَدَ[4]، فأنا أبتغي له قيداً، فمضى واتبعته، فألقى إلي رداءه ودخل الأَرَاكَ[5]؛ كأني أنظر إلى بياض مَتْنِهِ في خُضرة الأَرَاكَ، فقضى حاجته وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره، أو قال: يقطر من لحيته على صدره، فقال: **>أبا عبد الله؛ ما فعل شِرَادُ جملك ؟<**.

ثُمَّ ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: **>السلام عليك أبا عبد الله؛ ما فعل شِرَادُ ذلك الجمل ؟<**، فلَمَّا رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة، واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النَّبِيِّ ‘، فلَمَّا طال ذلك تحيَّنت ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد فقمت أصلي، وخرج رسول الله ‘ من بعض حُجَره فجأةً فصلَّى ركعتين خفيفتين، وطَوَّلت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: **>طَوِّل أبا عبد الله ما شئت أن تُطَوِّل؛ فلست قائماً حتى تنصرف<**.

---

(1) مَرَّ الظهران: يسمى اليوم وادي فاطمة، ويبعد عن مكة (30) كِيلاً تقريباً، فيه عدد من القرى أشهرها (الجموم).

(2) العَيْبَة: وعاء من أَدَمٍ ونحوه، ويكون في المتاع.

(3) حُلَّةٍ: ثوبان (إزار ورداء) من جنس واحد، مثل الطقم في أيامنا.

(4) شَرَدَ: نَفَرَ وذهب في الأرض.

(5) الأَرَاكِ: واد قرب مكة.

فقلت في نفسي: والله لأَعتذرنَّ إلى رسول الله ‘ ولأُبرئنَّ صدره، فلَمَّا قال: >**السلام عليك أبا عبد الله؛ ما فعل شِرَادُ ذلك الجمل ؟**<، فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: >**رحمك الله**< ثلاثاً، ثُمَّ لم يعد لشيء مما كان<[1].

إن للسائل أن تدور في خلده استفسارات تتداعى على خاطره بعدما سمع قصة الصحابي خَوَّات، ومن ذلك أنه ربما يسأل كيف تجرَّأ ذلك الصحابي على أن يقترف نظير ذنبه هذا؛ وهو في حضرة النُبُوَّةِ وسَدَنتها؟

ولماذا لم يُنْزِلْ به النَّبِيُّ ‘ أشدَّ العقاب لتطاوله على أعراض المسلمين من ناحية، ولتحقيق تأديب رادعٍ مُجْدٍ لمن شهد عذابه من المؤمنين؟

إن الجواب عن هذه التساؤلات المشروعة يتبدَّى بإشهارِ المنافعِ الجمَّةِ التي سعى إليها النَّبِيُّ ‘ من وراء ستره على إثم خَوَّات؛ فقد وارى عَوْرَتَهُ، وفرَّج كُرْبَتَهُ، وألَّفَ قَلْبَهُ، وإن العقوبة المأمولة قد تحققت من خلال وجباتٍ دسمةٍ قدمت بالاعتماد على آليةِ من التقريع المستمر الموجَّهِ عبر منهج التذكير بالذنب المقترفِ، والتي بُذِلَتْ له على طبقٍ من ذهبٍ؛ فاتنٍ رونَقُهُ، ومُرٍّ مذاقُهُ.

إن لغة تواصل النَّبِيِّ ‘ مع الصحابي المسْتَرِقِ النَّظَرَ إلى عورات النساء المسلمات آتت أكلها بإذن ربِّها، فالرجل قد أسلم جَمَلَهُ، وآبَ إلى صاحبه مُعلناً أنه لن يعود إلى شروده الذي صادف – في غفلة العين المؤمنة عن أنوار خالقها – أن أَنزل مطاياه بجوار مضارب العفيفات الطاهرات، إن هذا المنهج في التربية يمثِّل أعلى نماذج الذَّكَاءِ العاطفيِّ الذي قد يستضيفه المرء بين ضفتي عقله وقلبه, (وإن هذا التوازن الذي بلغ الغاية والنهاية في دقة التمييز بين الأحوال المختلفة, وتوزيع المواقف المتضادة, بحسب طبيعة كل منها وظروفها ومقتضياتها بالحكمة والاعتدال, كيلا يصبح التسامح فساداً, والرأفة ضعفاً, وقلة المبالاة خللاً ومضيعة للحقوق والواجبات والمصالح؛ هذا التوازن في شخصية الرسول ‘ وسلوكه كان صورة تطبيقية دقيقة لذلك التوازن في الشريعة الكاملة التي جاء بها)[2].

---

(1) الطبراني: «**المعجم الكبير**»، باب الخاء، باب من اسمه خزيمة، خوَّات بن جبير الأنصار، حديث: (4036). وانظر؛ لأبي نعيم الأصبهاني: «**معرفة الصحابة**»، باب الخاء، باب من اسمه خارجة، حديث: (2259).

(2) مصطفى أحمد الزرقا: «**عظمة محمد خاتم رسل الله مجمع عظمات البشر**», (35).

6- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (قَبَسٌ من أنوار الشَّيخين):

إن في رجالات الصحابة الكرام نماذج حَيَّةً توافق على تكامل توازنهم النفسيِّ، وأَقَرَّ لهم باستقامة السيرة، وسلامة السريرة، ووضوح الرؤية، وبُعْدِ النظر، والترفع عن الساقط من العثرات جمهورٌ عريض ممن خالطهم, وبايعهم، وشاراهم، وناكحهم، وصَحِبَهُم في الإقامة والترحال، وقد تحقق ذلك لشريحة متنوعة ومتعددة من الصحابة من خلال توافق الأقوال مع الأعمال، وتباين المواقف في ضوء تغير المعطيات الملحوظة من ناحية، واختلاف مسببات الأحداث ونتائجها المتوقعة من ناحية أخرى.

ويقع الدَّارس في ثنايا سيرة سيدنا أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه على لوحاتٍ فسيفسائيةٍ نَضِرةٍ توثِّقُ امتلاكه لمراتب خاصة غاية الخصوصية من الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ الفطريِّ المنشأ بدايةً، والمكتسبَ التحسينَ والتطويرَ لاحقاً.

فهو رجل قريب من الناس متعايش معهم برغم أشغالٍ شاغلةٍ ملقاةٍ على عاتقه ما أكثرها، وواجباتٍ عامةٍ مناطةٍ برقبته ما أخطرها، إنه خبير في محاكاة آمال النَّاس وآلامهم، علماً أنه متكئٌ في حصاد جميع هذا التوفيق على علاقةٍ متينةٍ تربطه بخالقه سبحانه وتعالى.

ومما يجلِّي تكامل شخصيته في علاقته مع ربه وعباده سبحانه ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ' قال: >**من أصبح منكم اليوم صائماً ؟**<، قال أبو بكر: أنا، قال: >**فمن تبع منكم اليوم جنازةً ؟**<، قال أبو بكر: أنا، قال: >**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟**<، قال أبو بكر: أنا، قال: >**فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟**<، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: >**ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجَنَّة**<[1].

إن ابن أبي قحافة، أبا عبد الله الصِّدِّيق هو بَشَرٌ في جوهره نَشَأَتْ مملكةٌ عامرةٌ بأخلاق الملائكة المقرَّبين، وهو شَمْسٌ تشرق بأنوارها على النَّاس لتغمرهم عافيةً ونوراً، وهو قمرٌ يأنسُ بِوَحْدِهِ الغرباء والحيارى فيكسو ليلهم فرحاً وذكراً.

ومما يبين هذا التحري الحساس بدرجة امتياز لمرضاة الله تعالى عند الخليفة أبي بكر؛ وهو ضرب من ثبات الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ وأصالته، ما روته أم المؤمنين بنت الصِّدِّيق عائشة، قالت: «كان لأبي بكر غلام يُخْرِجُ له الخَرَاجَ، وكان أبو بكر يأكل من خَراجِهِ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟؛ فقال أبو بكر: وما

(**1**) ابن حجر العسقلاني: «**المطالب العالية**»، كتاب الطب، باب حسن الخلق، حديث: (2626).

هو؟؛ قال: كنت تكهَّنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحْسِنُ الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أَكَلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده، فَقَاءَ كلَّ شيء في بطنه»[1].

أليس رغيف الخبز الحلال، يعمر أجساد البشر، ويحفظ عليهم بركات العمر؟!، وإن من يتحرى القرش المباح يجمعه، ويجافي فتنة الدرهم الحرام فيدفعه، هو شخص معافى من أسقام لا تستوطن إلا أفئدة المختلِّين نفسياً، القاصري البصر، والمطموس على بصيرتهم.

وتوازن الصِّدِّيق العَاطِفِيِّ من معالمه أنَّ ما يطرأ من تغير الأحوال مثل تحصيل جَاهٍ رفيعٍ، وسُلطانٍ مَنِيْعٍ، لا يُسَوِّغُ للمرء التحول عن كريم أخلاقه إلى ما هو دونها، فتواضع أبي بكر لم تَثْلُم فيه مخالب الرِّيَّاسة السَّامة جداراً، بل نزلت عليه مُلَطِّفَةً ومُحَبِّبَةً بشخص الخليفة المسلم الأول، ومن قبيل ذلك ما ذكره الإمام مُحَمَّد بن سعد وغيره، أن أبا بكر كان يحلب لأهل الحيِّ مَنَائِحَهُم[2]، فلَمَّا اسْتُخلفَ قالت جارية من الحي: الآن لا يَحْلِبُ لنا! فقال: بلى، لأحلبنَّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه، عن خُلُقٍ كنت عليه، فكان بعد الخلافة يحْلِبُ لهم[3].

إن الثبات على المبادئ المعتنقة، مؤشر ذو دلالة إيجابية على أصالة خصلة الوفاء، ومتانة شميلة قوة الانتماء، وهي تمثل أحد معايير الحكم على المرء المتوازن في عواطفه، الذي لا يستقيم بحال أن يغدو دمية متحركة تعبث به حتى النسائم اللطيفة الرقيقة.

وللخليفة المسلم الثاني حكاياتٌ أخرى تؤكد تربُّعَ هذا الرجل العظيم على سُدَّةِ البشر المتوازنينَ نفسيَّاً، والأذكِياءِ عاطفيَّاً، فالرَّجل عُرِف بأنه حُسَامٌ بَتَّارٌ لرؤوس أرباب الباطلِ من رعاة الجهل والظلم فهو قِبَلَهُم كصخرٍ أَصَمَّ لا يرحم، وهو في الوقت عينه أَبٌ رفيقٌ ليِّنٌ الجانب تَشُفُّ روحه عن شفقةٍ يَقِظَةٍ لا تطيقُ أن تُعَايشَ عذابات النَّاس وأحزانهم.

إن طبيعة شخصية الفاروق تجعل المتابع لسيرته الحافلة بالإنجازات يقف حائراً عند مواقفه المتباينة بعمق في الشكل والمضمون نحو عدد من قضايا الأُمَّةِ المختلفة، بحيث ينتهي المطاف بالدارس لأحداث حياته إلى أن عمر بن الخَطَّاب كان يتمتع بقدرات مذهلة تُعِيْنُهُ على ترتيب الأوراق المبعثرة، واستثمار الأوقات المهدورة، ومداواة النفوس المعتلَّة، وتقويم مسار الممارسات المحرمة.

---

(1) البخاري: كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، حديث: (3652).

(2) المَنَائِحُ: جمع مَنِيحة، وهي الناقة أو الشاة يعيرها صاحبها إنساناً ليشرب لبنها ويعيدها.

(3) عبده كوشك: «**صفحات مشرقة من تاريخ أعلام الأمة**»، (ص/12 – 13).

وإن في قصة خروج عمر إلى الشام عِبَراً ودلالاتٍ تُشَخِّصُ مستوى وضوح الرؤية عند أبي حفصٍ، فلا عدول عن الأصول إلى القشور، ولا وجود لأيِّ فرجة قد يَلِجُ منها الشيطان إلى النَّفس التي أبصرت طريقها، فالمعادلة سهلة للغاية: إن شرف الانتساب إلى الإسلام أرفع الأوسمة، وما خلاه بهرجٌ دنيويٌّ وضيعٌ لا يبرحُ سرابه أن يتبدَّدَ مع بارقةِ أنوار الوحي الأولى، ولا يَغُرَّنَّ المؤمن تقلُّب الكفرة في البلاد، فهو غثاءٌ آيلٌ إلى زوالٍ لا محالة، لأنها سنُّة الله المكينة ومن يطيق لِسُنَّةِ الله تبديلاً أو تحويلاً.

فعندما خرج عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه إلى الشام بصحبة أبي عبيدة ابن الجراح، فأتوا على مَخَاضَةٍ[1]، وعُمَر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخَاضَة، فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخَاضَة؟ ما يسرُّني أن أهل البلد اسْتَشْرَفُوْكَ[2]، فقال عُمَر: أَوَّهْ! لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة !! جعلته نكالاً لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ '؛ إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[3].

والرجل الذي كان سفير قريش في الجاهلية إلى النَّاس، وغدا سفير المسلمين إلى المجد في الإسلام، والذي أرعب ذكره قلوب عتاة الروم والفرس، وأهرمت أصداء قرعه طبول الحرب عزيمة نُخْبَةِ الفرسان، وأذهلت أخباره الشيوخ والأطفال والعذارى وأديرة الرهبان، ها هو في حالة يرثى لها بعدما تجلى له أن حقوقاً لأطفالٍ مسلمينَ في عيشٍ كريمٍ قد سلبت منهم؛ بسبب فقرٍ مُدْقِعٍ كاد أن يكون كُفْرَاً، فتحول الأسد الجسور عُمَر إلى عابدٍ ناسكٍ أَغْرَقَتْ دموع خشيته من عذاب الله ليالي أنسه، وأفسدت لحظات سروره، فَأُبْكِمَ الحكماء عن الرَّدِّ الجميل لسوء كرب قد أَلَمَّ بعملاق الإسلام.

فقد روى التابعي الثقة قَسَامَةُ بن زهير الَمَّازنيُّ البصريُّ، قال: وقفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى عُمَر بن الخَطَّاب فَقَالَ:

يَــا عُمَــر الْخَيْــرِ جُزِيــتَ الْجَنَّــهْ جَهِّــزْ بُنَيَّــاتِي وَاكْسُــهُنَّهْ

أُقْسِــمُ باللَّــه لَتَفْعَلَنَّــهُ

(1) المخَاضَةُ: الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه النَّاس مشاةً وركباناً.

(2) اسْتَشْرَفُوْكَ: نظروا إليك واطلعوا على وضعك وأنت بهذه الهيئة.

(3) الحاكم: «**المستدرك على الصحيحين**»، كتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، حديث: (191).

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابيُّ؟ قال: أقسم بالله لأمضينَّه. قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابيُّ؟ قال:

وَاللَّـــــهِ عَـــــنْ حَـــــالِي لَتَسْـــــأَلَنَّهْ ثُـــــمَّ تَكُـــــونُ الْمَسْـــــأَلاتُ عَنَّـــــهْ

وَالْوَاقِـــــفُ الْمَســـــؤُولُ بَيْنَهُنَّـــــهْ إِمَّـــــا إِلَـــــى نَـــــارٍ وَإِمَّـــــا جَنَّـــــهْ

قال: فبكى عُمَر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثُمَّ قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا، لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره![1].

وروى زيد بن أسلم أيضاً ما يتناسب مع هذا المقام من حالة الطمأنينة والسكون التي كانت عند أمير المؤمنين، عن أَبِيهِ أن عُمَر بن الخَطَّاب طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قِدْرٌ على النار قد ملأتها ماء، فدنا عُمَر بن الخَطَّاب من الباب.

فقال: يا أَمَةَ اللَّه، أَيْشْ بكاء هؤلاء الصبيان؟

فقالت: بكاؤهم من الجوع.

قال: فما هذه القدر التي على النَّار؟

فقالت: قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا، أَوْهمهم أن فيها شيئاً من دقيقٍ وسمنٍ.

فجلس عُمَر فبكى، ثُمَّ جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيقٍ وسمنٍ وشحمٍ وتمرٍ وثيابٍ ودراهمٍ، حتى ملأ الغِرارة، ثُمَّ قال: يا أسلم، احمل عليَّ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنك!

فقال لي: لا أُمَّ لَكَ يا أسلم، أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة.

قال: فحمله على عنقه، حتى أتي به منزل المرأة، قال: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئاً من دقيقٍ وشيئاً من شحمٍ وتمرٍ، وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القِدْرِ، قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثُمَّ جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثُمَّ خرج وربض بحذائهم كأنه سَبُعٌ، وخِفْتُ منه[2].

---

(1) ابن الأثير: «**أسد الغابة**»، (662/3).

(2) أحمد بن مروان الدينوري المالكي: «**المجالسة وجواهر العلم**»، (84/2). وانظر؛ «**كنز العمال**»، (148/12). و«**الرياض النضرة في مناقب العشرة**»، (385/2).

إن من أهم مصادر تحصيل السعادة هو (سعي الإنسان لإسعاد الآخرين، وبخاصة من يحتاجون إليه من الضعفاء والفقراء، وهؤلاء هم المصدر الأهم للإسعاد، ولا شيء يسعد الإنسان كشعوره بدوره في إسعاد الآخرين، ومن يشعر بالشقاء فعليه أن يجرب هذا الأسلوب، وسوف يجد لذة دائمة في حياته، وهي لذة متجددة في كل صباح، والأنانية تبعد الإنسان عن هذا الاختيار)[1].

7- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (فقه الحُبِّ القويم):

إن الصدق في المعاملة، والتراحم والتعاطف بين إخوة الإسلام، وبذل النصيحة الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، هي ممارسات تدلل بجلاء على تمتع صاحبها بتوازن نفسي محمود، نابع عن ذكاءٍ عاطفيٍّ راسخٍ في النَّفس ومتجذِّرٍ في الإدراك، وإن هذه التربية الرشيدة التي تعهد بها النَّبِيُّ ‘ الرعيل الأول من الصحابة آتت أكلها حقائقَ متلألئةً وليست مثاليَّاتٍ أفلاطونيةً ما تجاوزت حلاقيم الوعَّاظ، ولا بَانَتْ من تلافيف أوراقهم، إن «سرَّ عظمة النُبُوَّةِ في مُحَمَّدٍ ‘ أنه ترك من بعده خلفاء عنه في قيادة الدعوة؛ يفهمون شريعته كما يفهمها، ويتخلَّقون بأخلاقه كما أدَّبه ربُّه، فاستمرَّت الدعوة من بعده، وأدت رسالتها في التاريخ»[2].

ومن فتوحات الله جلَّ وعلا على رعيل القرن الأول من المسلمين في موضوع حسن الخُلق ما حدثنا به أبو حمزة أنس بن مالك إذ قال: كنت جالساً ورجلٌ عند النَّبِيِّ ‘، فقال رسول الله ‘: **>لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبُّ لنَفْسِهِ<**.

قال أنس: فخرجت أنا والرجل إلى السوق فإذا سلعة تباع فَسَاوَمْتُهُ، فقال: بثلاثين، فنظر الرجل فقال: قد أخذتها بأربعين، فقال صاحبها: ما يحملك على هذا وأنا أُعْطِيْكَهَا بأقلَّ من هذا؟!، ثُمَّ نظر أيضاً فقال: قد أخذتها بخمسين، فقال صاحبها: ما يحملك على هذا وأنا أُعْطِيْكَهَا بأقلَّ من هذا؟ قال: إني سمعت رسول الله ‘ يقول: **>لا يؤمن عبد حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه<**، وأنا أرى أنه صالح بخمسين[3].

---

(1) محمد فاروق النبهان: «**خواطر مضيئة من وحي الأيام**»، (132).

(2) مصطفى السباعي: «**دروس من الحياة**»، (202).

(3) الهيثمي: «**مجمع الزوائد**»، (342)، وقال: في الصحيح (البخاري:13 – مسلم:45) طرف منه عن أنس وحده. ورواه البزار في مسنده كشف الأستار، (68)، ورجاله رجال الصحيح.

8- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (بصيرة الوَلَدِ والأُمِّ):

ويعدُّ اليقين الذي يورث القناعة والرضا، ويوطد دعائم الإيمان بالمبادئ والمُثُلِ، ما ينتهي بالإنسان إلى أن يستقر على دَيْدَنِ منهجٍ جَلِيٍّ، بحيث لا تتنازعهُ مُحْدَثَاتُ الأهواء، ولا تمورُ به غرائب الطوارق، أحد مظاهر الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ البَنَّاء، وأهم ثمرات الطمأنينة النفسيَّة الصحيَّة.

وفي مجريات الحادثة التالية إيمان عميق بالقضاء والقدر، وثقة بالغة بأن ما عند الله قادم لا شك في مجيئه ولا ريب، ويتجلى ذلك في سلوك الابن الصالح، ومعه الأم المستبشرة بما عند الله خيراً.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ‘ خرج يوماً فاستقبله شابٌّ من الأنصار يقال له: حارِثَةُ بن النُّعمان، فقال له ‘: **>كيف أصبحت يا حارِثَةُ؟<**.

قال: أصبحت مؤمناً حَقًّاً.

فقال رسول الله ‘: **>انظر ما تقول، فإن لكل قول حَقيقَةً، فما حَقِيقَةُ إيمانِكَ ؟<**.

قال: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأَظْمَأتُ نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجَنَّة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النَّار كيف يتعادون فيها.

فقال له النَّبِيُّ ‘: **>أبصرت فالزم، مرَّتين، عبدٌ نوَّر الله الإيمان في قلبه<**.

وفي «**أسد الغابة**» لابن الأثير (426/1) زيادة جاء فيها: فقال حارِثَةُ: يا رسول الله! ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ‘ .

قال: فنودي يوماً في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أُمُّه إلى النَّبِيِّ ‘ فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابني حارِثَةَ، أين هو؟، إن يكن في الجنَّة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النَّار بكيت ما عشت في الدنيا؟!.

فقال لها رسول الله ‘: **>يا أم حارِثَةَ، إنها ليست بجنَّةٍ ولكنَّها جِنَانٌ، وحارِثَةُ في الفردوس الأعلى<**.

قال: فانصرفت وهي تضحك وتقول: بَخٍ بَخٍ لك يا حارِثَةُ[1].

---

(1) البيهقي: «**شعب الإيمان**»، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت، الحادي والسبعون من شعب الإيمان وهو باب في الزهد وقصر الأمل، حديث: (10164).

إن الثقة بما عند الله تورث المرء حالة من التوكل عليه وحده سبحانه، بحيث تجعله في طمأنينة وسكينة وحبور، وإن إدراك هذه النعمة هو منتهى الطموح، وأجلُّ المقاصد، إن الإيمان الذي استقر في قلب حارِثَةَ وأُمِّهِ يقدِّمُ صورةً مشرقةً لأثر اليقين في نفوس النَّاس وأنشطتهم الحياتية المختلفة، ويعد التوكل من أنجع سبل علاجِ القلقِ السلبيِ الهدَّام الذي يفضي في أحيانٍ كثيرةٍ إلى أدواءَ نفسيةٍ حرجةٍ مثل الاكتئاب, وضيق المجالس, ورهاب المرتفعات, والعزلة المرضية, والوسواس القهريِّ.

إن المتوكلين على الله تعالى هم أشخاصٌ متوازنونُ عاطفيَّاً، تعرفهم بعلامات الرضا عن الله تعالى المتجلِّية في تعابيرهم وممارساتهم أيَّاً كانت جسامة الأقدار النازلة بساحاتهم، فهم يبيتون ليلهم آمنين، وينفرون فجراً كالطير مستبشرين، ويصدُقُ فيهم قول أبي الطيب:

أَنــامُ مِــلءَ جُفــوني عَــن شَــوارِدِها وَيَســهَرُ الخَلــقُ جَرَّاهــا وَيَختَصِــمُ

وإن أعلى درجات النِّعَمِ التي منحها الله عبداً من عباده تتمثل في سعادةٍ غامرةٍ تقطن شغاف القلوب، تربو بجوهرها عن مظاهر السعادة المُمَنَّعَةِ، وذلك أنها لا تنحدر فتسقط في فَخِّ محاكاة أوهام الفرح والابتهاج المضَلِّلَةِ، إنها منزلةٌ رفيعةٌ دونها جميع المنازل، وغايةٌ ساميةٌ ليس لها من دون الله مُنْعِمٌ.

إنها السعادة التي قال فيها العارف بالله تعالى إبراهيم بن أدهم[1] بعد ما أكل مع صاحبه أبي يوسف كسيراتٍ يابساتٍ من الخبز، وحمد الله عليها: يا أبا يوسف! لو علم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب[2].

إن من أهم النتائج التي يسفر عنها الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ أو الوِجْدانِيُّ تتبدَّى في كَنِزِ سرورٍ يُتْحِفُ النَّفس فَتَهْنَأُ به، ومُجَانَبَةِ حُرقَةٍ لا تمسُّ حرمةَ الصَّدر فَيَضيقُ بها، وذلك أن الأمور بخواتيمها، فالوجبات الدَّسمة التي تقدَّم لخروفٍ

(1) هو إبراهيم ابن أدهم البلخي، مجاهد، سيد الزهاد، أحد السادة الأخيار والعباد الأطهار، ولد في حدود سنة (100هـ), وكان أبوه من أهل الغنى في بلخ في أفغانستان، سكن الشام، وكان ينفر في سبيل إعلاء كلمة الله مع المجاهدين ضد الروم.

(2) البيهقي: «**الزهد الكبير**»، (81). وانظر؛ ابن عساكر: «**تاريخ دمشق**»، (302/6 – 303، 365 – 366).

مسكينٍ سيقاد قريباً جداً إلى المسلخ، لا تعد بحال ترفيهاً يسمى صاحبه محظوظاً، بل إن الجوع المتأتي من الصوم الذي يضمن الصحة والسلامة في الدارين هو خير منه وأبقى .

9- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام (عَابِدَةُ الإسلام الأولى):

وإننا في ضيافة مدرسة العابدة الزاهدة الذاكرة رَابِعَةَ بنت إسماعيل العَدَوِيَّة، أم عمرو، مولاة آل عَتِيك، بنت البصرة، سوف ننهل من الراحة بذكرها ما لا يتخافت نَغَمُهُ، ونَستقي من مَعينِ الحب لله ورسوله ما يدوم وَجْدُهُ، إنها امرأة عاشت ثمانين سنة في ضيافة الله سبحانه، مُنزِلَةً مطاياها على أعتاب ربِّها، حتى توفَّاها بارئها بالقدس السليب سنة (135هـ).

ومن لطائف أخبارها المحببة إلى قلوب المؤمنين ما حدث لها مع الإمام الأعظم سفيان الثوري يوم لقي رَابِعَةَ العَدَوِيَّة، وكانت زَرِيَّةَ الحال، فقال لها: يا أم عمرو! أرى حالاً رثَّةً، فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى؟

فقالت له: يا سفيان وما ترى من سوء حالي؟ أَلَسْتُ على الإسلام؟ فهو العِزُّ الذي لا ذُلَّ معه، والغنى الذي لا فقر معه، والأنس الذي لا وحشة معه.

والله! إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟!

فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام.

وقالت رَابِعَةُ لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلُّ وأنت تعلم، فاعمل.

ومن روائع سكونها الروحي حيث لا وجود لخوفٍ مرضيٍّ يجتاح فرائصها، ولا ليأسٍ يدُكُّ أسوار طمأنينتها النفسية، ما روي من خبرها مع أبي سليمان الهاشمي الذي كان من تجار البصرة الأثرياء، وكانت كل يوم له غلَّةٌ تعدل ثمانين ألف درهم.

فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها، فأجمعوا على رَابِعَةَ العَدَوِيَّة، فكتب إليها: «أما بعد: فإن مُلْكِي من غلَّةِ الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم، وليس يمضي إلا قليل حتى أتمَّها مئة ألف إن شاء الله، وأنا أَخْطُبُكِ نَفْسَكِ، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف، وأنا مُصَيِّرٌ إليك من بَعْدُ أمثالها، فأجيبيني؟».

فكتبت إليه: «أما بعد: فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي فَهَيِّئ زادك، وقَدِّم لِمَعَادِك، وكُنْ وصيَّ نفسك، ولا تجعل وصيتك إلى غيرك، وصُمْ دهرك، واجعل الموت فِطْرَك، فما يسرني أن الله خوَّلني أضعاف ما خوَّلك، فيشغلني بك عنه طرفة عين، والسلام».

وقالت مرة امرأة لرَابِعَةَ: إني أحبك في الله، فقالت لها: أطيعي من أحببتني له.

وكانت رحمها الله تقول: اللهم قد وهبت لك من ظلمني، فاستوهبني ممن ظلمته.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردِيُّ في كتابه «**عوارف المعارف**» نشيدها الروحي الخالد:

إِنِّـــي جعلتـــكَ فـــي الفُـــؤادِ مُحَـــدِّثِي وأَبَحْتُ جِسمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي[1]

إن السعادة في الدارين هي غاية كل مؤمن، وإن أسعد امرأة في الدارين رَابِعَةُ، فقد أبصرت هذه العابرة أنوار الله شاخصةً، فما تضيرها بعد كل هذا الأنوار ظلماتٌ، عرفت طريق الحُسْنِ والبَهَاءِ فاكتحلت في مرة ذكراً، وفي أخرى كان قيامها الليل تكريماً وتشريفاً.

10–التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (حَمَّاد.. نموذج العَالِمُ العَامِلُ):

ونستكمل مشوارنا الإيماني مع السادة الشرفاء المكرمين في الدنيا والآخرة من الذين صدقوا الله في بيعتهم على التقوى، فصدقهم الله وعده إذ أخلد ذكرهم إلى يوم يبعث الناس فرادى، حفاةً، عراةً، حيث نحطُّ رحالنا عند إمام كبير في تعليم سبل كسب اليقين والرضا، وطرائق حيازة السعادة والهنا، والتي هي غاية كل نفس، وأمل كل عابر سبيل، إنه الحافظ القدوة، أبو سَلَمَةَ البصريُّ، حَمَّادُ بن سَلَمَةَ، مفتي البصرة، الذي كان سيد أهل زمانه، ورأساً في السُنَّة، من الأخيار مجابي الدعوة، وقد كثرت أخباره المثيرة للدهشة في الزهد والعلم والتنزُّه عن سفاسف الأمور، ومنها قصة يرويها لنا مُقَاتِلُ بن صَالِحٍ الخُرَاسَانِيُّ، قال: دخلت على حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ فإذا ليس في البيت إلا حصير،

(1) ابن خلكان: «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، (285/2 – 288). وانظر: «**سير أعلام النبلاء**»، (241/8 – 243). و«**شذرات الذهب**»، (193/1). و«**الأعلام**»، (10/3).

وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجِرَابٌ[1] فيه علمه، ومِطْهَرَةٌ[2] يتوضَّأ فيها، فبينا أنا عنده جالس إذ دَقَّ عليه دَاقٌّ الباب، فقال: يا صَبِيَّةُ اخرجي فانظري من هذا؟، قالت: هذا رسول محمَّد بن سليمان[3].

قال: قولي له يدخل وحده، فدخل، فسلَّم، وناوله كتابه، فقال: اقرأه، فإذا فيه:

«بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، مِن محمَّد بن سليمان إِلى حَمَّادُ بنِ سَلَمَةَ، أما بعد: فصبَّحك اللَّه بِما صبَّح به أولياءه، وأهل طاعته، وقعت مسألة، فأتنا نسألك عنها، والسَّلام».

قال: يا صبِيَّة! هلمِّي الدَّواة، ثم قال لي: اقلِبِ الكِتاب واكتب: «أما بعد: وأنت فصبَّحك اللَّه بِما صبَّح به أولياءه، وأهل طاعته، إِنَّا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وقعت مسألة فأتنا فسلنا عمَّا بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسَّلام».

فبينا أنا عنده جالس إذ دَقَّ دَاقٌّ الباب، فقال: يا صبِيَّة! اخرجِي فانظري من هذا؟، قالت: هذا محمَّد بن سليمان، قال: قولِي له يدخل وحده، فدخل فسلَّم ثُمَّ جلس بين يديه، ثُمَّ ابتدأ فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً؟

فقال حَمَّادُ: سمعت ثابِتَاً البُنانِيُّ يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول اللَّه ‘ يقول: >**إِنَّ العالِم إذا أراد بِعِلمِهِ وجه اللَّهِ هابهُ كلُّ شيءٍ، وإذا أرادَ أن يكنِزَ بِهِ الكنوز هابَ مِنْ كلِّ شيءٍ**<[4].

فقال: ما تقول يرحمك اللَّه في رجلٍ له ابنانِ وهو عن أحدِهما أرضى، فأراد أن يجعل له في حَيَاتِهِ ثلثي مَالِهِ؟

قال: لا تفعل رحِمكَ اللَّه، فإِنِّي سمعت ثابِتَاً البنانِيُّ يقول: سمعت أنس ابن مالك يقول: سمعت رسول اللَّه ‘ يقول: >**إِنَّ اللَّه إذا أراد أن يعذِّب عبده بِمالِهِ وفَّقهُ عند موتِهِ لوصِيَّةٍ جَائِرةٍ**<[5].

قال: فحاجة إليك؟

---

(1) والجِرَاب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

(2) والمِطْهَرَة: كل إناء يتطهر منه، كالإبريق والسطل والركوة وغيرها.

(3) هو مُحَمَّد بْنِ سُلَيْمَانَ بن علي العباسي، أبو عبد الله، أمير البصرة، وليها أيام المهدي، وعزل سنة (164هـ) ، وأعاده الرشيد، وزوجه العباس بنت المهدي سنة (172هـ)، واستمر في البصرة إلى أن توفي سنة (173هـ).

(4) الديلمي: «**الفردوس بمأثور الخطاب**»، (71/3). وانظر؛ السيوطي: «**الجامع الصغير**»، حديث: (5657).

(5) الديلمي: المرجع السابق، (244/1).

قال: هاتِ، ما لم تكن رزِيَّةً فِي دِينٍ.

قال: أربعين ألف دِرهمٍ تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه.

قال: اردها على من ظلمته بها.

قال: واللّه ما أعطيك إلا ما ورِثته.

قال: لا حاجة لي فيها، ازوِها عنِّي زوى اللَّه عنك أوزارك.

قال: فغير هذا.

قال: هاتِ، ما لم يكن رزِيَّةً فِي دِينٍ.

قال: تأخذها فتقسمها.

قال: فلعلِّي إن عدلت في قسمها أن يقول بعض من لم يرزق منها: إِنَّه لم يعدِل في قسمها فيأثم، ازوِها عنِّي زوى اللَّه عنك أوزارك[1].

إن النَّفس المؤمنة تستقرئ في ظلال الذَّكَاءِ العاطفيِّ المتين المستقبل على بصيرة، وتُعمِلُ العقل في المسائل المعروضة على دراية، فلقد خَبِرَ الإمام حَمَّادُ الحُكَّام وعرفهم، فهم ليس في قواميسهم مفردة عَطَاء، والبديل عنها تصاريف مبتكرة كثيرة وشاذة حتماً لمفردة أَخْذ، إن أموال الله التي سلَّطهم عليها هي محجوبة عن أن يصرف قرش واحد منها لوجه الله وحده، إن المال السياسي كان وسيبقى يُمْنَحُ لتحقيق مصالح وشراء ألسنٍ وأقلامٍ ومواقفَ، وذلك بغية أن يستر فيها الحاكم جَوراً، أو يدفن مظلمةً، وهذه التجارة الرابحة المباحة في شريعة الحكام معاذ الله أن تجد أعشاشاً تُفَرِّخُ فيها بيوضها القاتلة على مرتفعات العارف بالله العالم العامل حَمَّادِ بن سَلَمَةَ رحمه الله تعالى، وإن النفس التي تقارع مغريات الدرهم والجاه, ومفاتن النساء ذوات المنصب والجمال هي نفس تتوضَّع على هرم النفوس المتوازنة عاطفياً.

11–منظومة الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ الجماعيُّ:

وفي ظلال ما أفدناه من إشراقات بعض روائع أحداث تراثنا الإسلامي المجيد، نجتهد رأينا في أن نختم بهذه الأسئلة الواضحة:

---

(1) الخطيب البغدادي: «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**»، (362/1 – 363). وانظر؛ ابن عساكر، «**تاريخ دمشق**»، (132/53 – 133). وابن الجوزي: «**صفوة الصفوة**»، (361/3 – 362).

كيف استطاع الإسلام أن ينمّي مهارات الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ عند الرَّعيل الأوَّل من الصَّحابة والتَّابعين، فانتقلوا من الضَّياع إلى الهداية، ومن الضَّعف إلى القوَّة، ومن التَّفرُّق إلى الوحدة، ومن التَّبعية إلى القيادة؟

إذا كانت مكوِّنات الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ.. كإدراك الذَّات، والتفاؤل، والمرونة، وامتلاك زمام المبادرة، وتحمُّل المسؤوليَّة، والقدرة على التواصل مع الآخرين، والإيمان بثقافة الاختلاف البنَّاء، وإتقان سياسة إدارة الأزمات، وغير ذلك متوافرة في تعاليم القرآن الكريم، وفي ممارسات النَّبِيِّ ‘، فلماذا تخلَّف المسلمون عن الإفادة من التفكير الإيجابي الذي دعاهم الإسلام إليه بوصفه أحد أهم مفرزات الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ بغية التخلُّص من مشكلاتهم المزمِنَةِ، وتخلُّفهم الخطير؟

لماذا لا تَكسِرُ أُمَّةَ الإسلام قيود تبعيتها، وتمزِّقُ أقنعة تخلُّفها، معتمدة على توازنٍ نفسيٍّ تربِّيها عليه آيات الذكر الحكيم، وسيرة النَّبِيِّ الأمين؟

وإن القصد السامي من وراء طرح جملة الأسئلة الكبيرة تلكم هو أمل حزين له نحيب يدمي القلوب، ننشد من خلال تبيان حال حُرْقة قلبه الضعيف؛ أن نعصف دماغ القارئ الكريم ونقدح ذهنه كونه أحد أفراد هذه الأُمَّة المنكوبة بتكالب لقطاء العالم كافةً عليها[1]، تاركين بين أياديه النازفة أوراقاً بيضاء رجاء أن يدوِّن عليها إجاباتٍ

(1) تنادى عتاة الغرب والشرق في القديم والحديث من الأيام بغية شن حرب على الشريعة الخاتمة، متجاوزين لإنجاز نهمهم المشين جميع خلافاتهم العميقة، فقد سئل وزير خارجية إيطاليا عندما كان رئيساً للمجموعة الأوربية: ألم يقم بين دول أوربا وفاق؟ إذاً فما لزوم الحلف الأمني! فأجاب بصلافة: هناك أعداء.. هناك الإسلام. ولن ينس المسلمون مقولة رئيسة الوزراء البريطانية (مارجريت تاتشر): لقد تخلصنا من العدو الأصغر.. وباقي العدو الأكبر وهو الإسلام. وقد قال (آلان موهيد) في كتابه الشهير «**النيل الأبيض**»: إن احتلال الإنجليز لمصر في عام (1881م) كان لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة، وتيَّارٍ مُحَمَّدِيٍّ متعصِّب. وقال (رونس براون): إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي. وقال (بن جوريون) رئيس الوزراء الإسرائيلي: اصبروا.. فلن يكون سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين، إن الشرط الأساسي للسلام أن تقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدُّميَّة متحررة من التقاليد الإسلامية. وأما نحن المسلمين فبرغم يقيننا بأن ما تخفي صدورهم أكبر بعدما بدت كل هذه البغضاء من أفواههم، فإننا نجد في الواقع دليلاً قاطعاً وجليَّاً على عظيم حقدهم وفُحْشِ كيدهم، وإن ربنا لبالمرصاد، وعند الله مكرهم. (عثمان نوح: «**الابتلاء والمحن**»، 55).

منطقيةً عمليةً تسهم في تخليص النَّاس من ألمٍ ويأسٍ وضعفٍ طال عهدهم، فأتعسوا نفساً تحتضنهم على كُرْهٍ، وأوهنوا جسداً يحملهم على مَضَضٍ؟

إن طريق الخلاص أمام أبناء الأُمَّةِ الإسلامية واضحةٌ معالمه، تُنِيْرُهُ في النَّهار بوارق السيوف التي لا يطيقُ كَسَرَ عينَ الشمسِ غيرُ بريقها، وتُضِيْؤهُ في الليل أذكار القيام، وأنَّاةِ التَّهَجُّدِ، وتراتيل قرآن الفجر المشهود، وهي جميعها بمثابة أقمارٍ لا يَخْبُتُ لها نور، لأنها عَصِيَّةٌ على أن يَفْنَى لها زيت، أو تَذْبُلَ لها فتيلة؟

نعم؟! إن طريق النجاة أمام المسلمين يتيم، وسُبُلُ غيره ماضية بهم دون ريب نحو الجحيم؟

إن الذَّكَاءَ العَاطِفِيَّ الجماعيَّ يمثل الوجه الثاني للذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ الإنسانيِّ، وهو مَلَكَةٌ يتحلَّى بها مجموع أفراد الأُمَّة إذ إنها تتخلَّقُ في رحمِ مَحَبَّةِ أبناء الأُمَّةِ لبعضهم بعضاً، وذلك عندما تغدو علاقاتهم الوطيدة بمثابة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى، وهي تثمر عن أداء جماعي مبدع يستطيع المسلمون أو غيرهم من خلاله صناعة أمجاد الأُمَّة المنشودة، لأن يد الله على الجماعة، وبمثل هذا التعاضد الخَلَّاق استطاع الرعيل الأول الميمون في الدولة الإسلامية البِكْرِ تحطيم أصنام الظلمات من حجرٍ وبشرٍ، ونشر أنوار الشريعة الخاتمة بين المشرقين.

إن الذَّكَاءَ العَاطِفِيَّ قادرٌ على ردم الهوَّة التي أمست عميقة فيما بين المسلمين مع بعضهم البعض من وَجْهٍ؛ وهو يمكِّنُ المسلمين من إعادة ترتيب سلم أولويات مشروعهم الإصلاحي مع الأمم الأخرى من وَجْهٍ ثانٍ، إنه بوصلةٌ دقيقةٌ لا تُحَيِّدُ العواطف في محافل العقل، بل تجعلها رقيبة على أدائه المنطقي، وهي مؤمنة بأهمية دور العقل في ميادين نشاطها في قطاعاته كافة.

إن الذَّكَاءَ العَاطِفِيَّ في علم النَّفس التربويِّ الإسلاميِّ يُخْتَصَرُ في اجتهادك من أجل أن ترضي ربك، وتتعرَّفَ على طاقات نَفْسِك، وتتعامل مع النَّاس في ضوء ضوابط شريعتك.

إن السعادة التي نتطلع جميعاً لرشفِ شَهْدِ عسلها الشافي، يضمنها لنا توازنٌ نفسيٌّ حصيفٌ، يَنْشَأُ في رحم برعم الإيمان، ويَتَخَلَّقُ في أكنافِ زهرةِ التقوى، ويُثْمِرُ عن خيرٍ غفيرٍ تحت عناية ألطاف عين الله سبحانه وتعالى التي لا تأخذها سِنَةٌ ولا نوم.

ثالثاً: نتائج البحث وتوصياته

خلص الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات, ومن أهمها:

1- الذَّكَاءُ العَاطِفِيُّ هو علم معتبر ينبغي على الباحثين المتخصصين في علوم النفس والتربية الإسلامية معالجته وفق الرؤية الإسلامية الرشيدة.

2- وثَّقت الدراسة نجاح مناهج التربية الإسلامية الشاملة والعميقة في تخريج أجيال من أبناء الأمة المسلمة الذين تحلو بأعلى درجات الذَّكَاءِ العَاطِفِيِّ.

3- توصي الدراسة بأهمية إنجاز دراسات تحليلية تأصيلية نقدية تفنِّد دعوى عجز الفكر التربوي الإسلامي عن محاكات ما تطالعنا به علوم العصر من فتوحات علمية (نفسية وتربوية) عبر تأكيد صلاحية الشريعة الإسلامية الخاتمة لبناء الإنسان الصالح الناجح في كل عصر ومكان.

رابعاً: مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي: **شعب الإيمان**، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، 2003م.

أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي: **كتاب الزهد الكبير**، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969م.

أحمد بن الخطيب البغدادي: **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د- ت.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تنسيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة - دار الغيث، الطبعة الأولى، السعودية، 1419هـ.

أحمد بن مروان الدينوري المالكي: **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، 1419هـ.

الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990م.

دانييل جولمان: **الذكاء العاطفي**، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم العرفة، العدد 262، 2000م.

سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني: **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د- ت.

شمس الدين أحمد ابن خلّكان البرمكي الإربلي: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د — ت.

شيرويه بن شهردار أبو شجاع الديلميُّ الهمذاني: **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1986م.

عبده كوشك: **صفحات مشرق من تاريخ أعلام الأُمَّة**، دار الفيحاء، الطبعة الأولى، دمشق، 2009م.

عثمان نوح: **الابتلاء والمحن**، دار الإيمان، الاسكندرية، د — ت.

علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1994م.

علي بن الحسن المعروف بابن عساكر: **تاريخ دمشق**، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، 1995م.

مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، الطبعة الثانية، دمشق، 1993م.

مُحَمَّد بن جرير الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م.

محمد فاروق النبهان: **خواطر مضيئة من وحي الأيام**، دار التراث، الطبعة الأولى، حلب, 2007م.

مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، دار سحنون، الطبعة الثانية، القاهرة، 1992م.

مصطفى أحمد الزرقا: **عظمة محمد خاتم رسل الله مجمع عظمات البشر**, دار القلم, دمشق, 2008م.

مصطفى السباعي: **دروس من الحياة**، دار الوراق– ودار النيربين، الطبعة الأولى، دمشق، 2002م.

نور الدين علي بن سليمان الهيثمي: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.

ياسر تيسير العيتي: **الذكاء العاطفي، نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة**،دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 2010م.

ياسر تيسير العيتي: ما فوق **الذكاء العاطفي حلاوة الإيمان**،دار الفكر، دمشق، 2009م.

***

Al kuran al karim
Shwab al imaan- al baihaki, 2003.
Kitab al zwhd al kabir-- al baihaki, 1969.
Al jamia liakl al rawi wa aadaab al samia – al bagdadi
Al matalib al alia bizawaad al masanid al samania- al askalani, 1419.
Al majalia wa jawahir al ilim- al maliki, 1419.
Al mwstadrak ala al sahihin – al nisabori, 1990.
Alzakaa al aatyfy - jolman, 2000.
Al mwajam al awsat – al tabari
Wafiat al aeian wa anbaa abnaa al zaman – eben kalakan
Al firdaws fimaswr al kitaab- al hamazani, 1986.
Safaht moshrika – koshak, 2009.
Al ibtilaa wa al mihaan- noh
Asd al gabaa fi marifate al sahaba – eben al asir, 1994.
Tarih demashk – eben asaker, 1995.
Sahih al bokari – al bokari, 1993.
Jamia al bayan fi tawil al kuraan – al tabari, 2000.
Kawater mdiaa min wahi al aiaam- al nabhan, 2007.
Sahih mwslim – al naisabori, 1992.
Azamat muhamad katem al rwsul – al zarke, 2008.
Dwrws min al haia – al sibai, 2002.
Majmaa al zawaid wa manbaa al fawaaid – al haiami, 1994.
Alzakaa al aatyfy – al aiti, 2010.
Alzakaa al aatyfy halawat al imaan – al aiti, 2009.